

اللسنية عنصر معجمي منكود الحظ في المعاجم العربية

أ.د عبد الرزاق بن عمر.

لمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس.

المقدمة:

نسعى من خلال هذا البحث الموسوم "باللسنية (العبارة الاصطلاحية/ العبارة المسكوكة/ العبارة الخاصة/ L'expression idiomatique) (1) عنصر معجمي منكود الحظ في المعاجم العربية" إلى تناول ظاهرة لغوية معجمية شدتنا إليها منذ أمد لدقة خصوصياتها و أبعادها. فالنشاط المعجمي عند العرب يعتبر من أبرز ما يميز إنتاجهم المعرفي و اللغوي على وجه الخصوص، و قد كان لظهور "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (2) في زمن متقدم الأثر البالغ في ذلك لأن باب البحث اللغوي فُتح أمامهم على مصراعيه انطلاقاً من هذا الكتاب فتعددت الأعمال والدراسات (3) وتناالت المعاجم اللغوية العامة والمختصة (4) بما لا يدع مجالاً للشك في غزارة الإنتاج المعجمي. و رغم ذلك مايزال التقيب في حقل المعجمية العربية يسترعي انتباه المختصين ويحفز على تقديم الإضافات في شتى المحاور التي قد لا تكون أخذت ما تستحق من الدرس، لا لتقصير عند القدامى في ما بلغوه و لكن لسعة ما يمكن أن يدرك في مجالات العلوم اللغوية المتعددة.

فوضع المعاجم رغم صبغته التطبيقية وشح دون شك تلك العلوم اللغوية بالكثير من المؤلفات التي يحتاج فيها المعجمي عادة إلى خلفية نظرية تمكنه من تحقيق ما يصبو إليه. و مدار تلك الخلفية اللغة بعناصرها المختلفة. أو لنقل بمعجماتها التي تتوارد في بنى لغوية صوتية صوتية و صرفية صغية و نحوية تركيبية و دلالية... و اللسنية من تلك المعجمات تميزها عن العناصر اللغوية البسيطة خصوصيات عديدة تطرح شتى القضايا في المعاجم و القواميس. و لعلها لم تحظ في التقاليد المعجمية بما يكفي من الدراسة لأن اللسنيات في حد ذاتها غالباً ما تعدّ عند اللغويين من شواهد اللغة شأنها شأن الشعر و الأمثال و نحوها. بل إننا نكاد نجزم أننا إلى الآن نفنقر إلى معجم جادّ للسنيات في العربية إذا استثنينا بعض المعاجم التي أخذت في الظهور مؤخراً و منها على سبيل الذكر: " المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية" لمحمود إسماعيل صيني و جماعته (1996) و "معجم التراكيب و العبارات الاصطلاحية العربية منها و المولد" لأحمد أبو سعد (1987) ومشروع "المعجم الآلي للجمال المسكوكة" لفريق عمل مغربي (5). و رغم هذا الاستثناء الذي قد يكون سدّ الفراغ في بعض جوانبه، نرى أنّ النظر فيما تنثيره اللسنية من مشاكل في القاموسية يبقى قائماً لأن الكثير من الأسئلة ما تزال عالقة تنتظر التحليل و الإجابة. هذه الأسئلة حسب اعتقادنا مدارها حظّ اللسنية في المعاجم اللغوية. فلماذا لم يحفل أصحاب القواميس باللسنيات و لم يخصصوا لها المعاجم الكافية التي تحفظ رصيد العربية منها من التداخل مع الأمثال مثلاً و الحال أنّ التراث يزخر بمعاجم الأمثال و فيها نسبة كبيرة من اللسنيات؟ بل و ما الذي جعل حظّ اللسنية دون المرتبة التي حظيت بها الكلمة في مختلف المعاجم اللغوية؟ كيف كان ذلك الحظ؟ أ

و كان نكدا في مستوى الجمع أم الوضع؟... تلك الأسئلة و غيرها تدفعنا إلى بحث الموضوع في محورين أساسيين: اللسنية و بنيتها باعتبارها من العناصر المعجمية ثم القضايا التي تطرحها في المعاجم اللغوية العامة.

1. بين المعجمية و القاموسية

قد يكون من الأنسب أن نقدّم القاموسية (Lexicographie) علما المعجمية (Lexicologie) لأنها أقدم في التاريخ و قد ظهرت القواميس قبل التنظير لها. لكنّ الذي يشغلنا هو أنّ العمل التطبيقيّ يستند في الأصل إلى نظريات تحدّد منطلقاته و سيرورته (6). و المعجم في التراث اللغويّ عند العرب شاع في الدلالة على معنيين: المعجم الكتاب أو القاموس (Dictionnaire) (7) و المعجم الذهنيّ الطبيعيّ (Lexique). و من ثمة نشأ علمان: المعجمية أو علم المعجم و هو العلم الخاصّ بدراسة مفردات اللغة أو مجموعة الكلمات المكتنزة في أذهان أفراد المجموعة اللغوية الواحدة و التي تظهر في الاستعمال في شكل وحدات متعاقبة مترابطة تؤلّف كلام أولئك الأفراد وخطاباتهم (8) ثمّ القاموسية أو المعاجمية و هذا العلم تطبيقيّ لأنّه من قبيل الصناعة أو هو أقرب إلى الممارسة والصناعة منه إلى العلم لأنّه يقتضي من المعجميّ واضع المعجم الكتاب جمع موادّ اللغة حسب منهج معيّن (9) ثمّ ترتيبها على نحو ما في مداخل (Entrées lexicales) مشفوعة بتعريفات (أو شروح أو ترجمة/ Définitions) القصد منها مساعدة القراء من الباحثين و المتعلّمين و نحوهم في الاهتداء إلى معاني مفردات اللغة و معرفة استعمالها و ما يتّصل بذلك من معلومات لغوية ضيقة أو ثقافية عامّة، إضافة إلى أنّ ما يقوم به يلتبس بفنّ الصناعة لأنّه يحتاج فيه إلى دراسة الجوانب الفنية والتقنيّة في الإخراج و الطباعة و مراعاة مقتضيات السوق و ما إلى ذلك. و لا يمنع هذا من أن يدرس المعجميّ الباحث القواميس دراسة نظرية فيتناول مختلف القضايا اللغوية التي تعترض سبيل المعجميّ صاحب القاموس. فعمل المنظر حينذاك يدخل في صلب المعجمية بينما يكون عمل الثاني من رحم القاموسية، رغم أنّ عمله هذا يحتاج إلى نظريات لغوية يستند إليها بما أنّه يقتضي معرفة واسعة باللغة و نظمها المختلفة و عناصرها المتعدّدة. و لقد اعتاد واضعو القواميس منذ الخليل التعامل في معاجمهم مع العناصر المعجمية البسيطة و الكلمات و لم يهتموا بالعنصر المعجميّ من زاوية احتمال تركيبه.

والعناصر المعجمية تمثّل المكونات الأساسية لمعجم اللغة. إلّا أنّها على أنواع كثيرة منها البسيطة و منها المركّبة التي تمثّل مجموعات معجمية تتلازم مكوناتها البسيطة تلازما مقيداً بالاستعمال (10). و اللسنية من تلك العناصر المركّبة المتلازمة المكونات بما أنّها تمثّل كلّ عنصر معجميّ تجاوزت بنيته الكلمة و توارد في شكل مركّب من المركّبات النحوية المختلفة و كان متواترا في الاستعمال مترسّخا في نظام اللغة. و من أمثلتها الكثيرة نذكر: أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَ شَرِبَ (تقادم عهده) وَ رَجَعَ بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ (: خائبا) وَ شَمَخَ بِأَنْفِهِ (: تكبر) وَ أَفْنَهُ فِي أَسْلُوبٍ (: تكبر) وَ هُم يَدُهُ وَ عَضُدُهُ (: أنصاره) وَ رِمَاحُ الْجِنِّ (: الطاعون) وَ فِي جَنَاحِ طَائِرٍ (: قلق) وَ فِي الرِّعِيلِ الْأَوَّلِ (: في المقدّمة) وَ كَرَاغِيَةِ الْبُكَرِ (: مشؤومة أو شديدة)... و المتأمل في التعريف السابق و ما صاحبه من أمثلة يرى أنّ لهذا الصنف من العناصر خصوصيات متعدّدة تمنح كلّ لسنية مكانا ما في معجم اللغة أ كان ذلك في مستوى الملكة (La compétence) أم الإنجاز (La performance).

فالسنية متواترة شديد الاطراد في اللغة المكتوبة و المسموعة و هي مركبة و قد اتضح لنا كيف أنها تواردت في الاستعمال منجزة في مركبات نحوية كثيرة منها الإسمية: - مركب إسنادي إسمي: أنه في أسلوب/ مركب إضافي: رماح الجن... و منها الفعلية: رجع بخفي حنين + أكل عليه الدهر و شرب... و منها الحرفية: في جناح طائر + كراغية البكر... و هذا التوزيع حسب الأشكال النحوية من جهة أخرى يكشف لنا وجهاً آخر في السنية هو لعمرى ضرب من التصنيف الذي لا ريب في كونه ينتمي إلى الملكة اللغوية لاسيما و أن لسنيات اللغة تقبل ضرباً أخرى من التصنيف الدلالي و غيره، كأن توزع مثلاً حسب مقياس الترادف إلى مجموعات:

- للتعبير عن الكبر و التكبر: أنه في أسلوب + شَمَخَ بِأَنفِهِ + زَمَّ بِأَنفِهِ عَنِّي...
- للتعبير عن الفقر: لَيْسَ لَهُ أَيْبَةٌ وَلَا رَائِحَةٌ + مَا لَهُ وَطَاءٌ وَلَا غِطَاءٌ + مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ...
- للتعبير عن الموت: انْقَطَعَ أَكْلُهُ + خَلَّى مَكَانَهُ + عَطَسَتْ بِهِ اللَّجْمُ...

و يدعم هذا الانتماء إلى الملكة و الإنجاز على حدّ السواء ما يميّز السنية في حدّ ذاتها من خصائص متلازمة مع الخصائص السابقة. فمما لا شكّ فيه أنّ التواتر و الترسخ المعجمي (La lexicaliation) أي في نظام اللغة والتركب (La polylexicalité) و التكلّس (Le figement) من أبرز ما يميّز اللسنيات. و لكنّ الذي لا بدّ من أن يؤخذ بعين الاعتبار كذلك هو أن تلك الخصائص لا تشتغل بمعزل عن الدلالة. بل إنّ التركيب مثلاً، رغم ما له من ملمح شكليّ، تقيده الدلالة. ذلك أنّ اقتران المكوّن بالآخر عند نشأة السنية لا يكون حرّاً إذ يتعدّر في أغلب الأحيان إجراء بعض التحويلات و الاستبدالات على تلك المكوّنات المتلازمة. فقولنا شدّ فلان الحبل لا يمنع في الاستعمال من أن نعوض فيه الحبل بالزريق و شدّ بما يرادفه: شدّ الزريق و أمسك الحبل، لأنّ التركيب حرّ والمعنى لا يضيع بالاستبدال، في حين أنّ السنية: شدّ رَحْلَهُ (: سافر) لا تقبل الاستغناء عن الرجل أو استبداله بالسرج مثلاً: شدّ سرجه، لأنّ المعنى يتهشم و لأنّ هذا الاستعمال لا يوجد في لغة العرب للتعبير عن السفر. و السرّ في ذلك أنّ العبارة أصبحت على درجة ما من التكلّس. فتلازمت داخلها المكوّنات بحيث أضحي كلّ مكوّن منها يماثل الصوتم (Le phonème) في الكلمة و السين في السرج. و لا ريب في أنّ المعنى الشفّاف (Transparent) المستفاد من ظاهر اللفظ يختفي بالمزاج بين المكوّنات ليأخذ مكانه في الاستعمال معنى جديد اصطلاحيّ مقصود لاشفّاف (Opaque) هو في مثل السنية شدّ رحله: سافر. وكان العرب منذ سيبويه قد شدّدوا على أهميته في اكتمال التركيب و إجراء المركب مجرى الإسم الواحد إذ يقول صاحب الكتاب: " فلا ينفرد من هذه الأشياء شيء دون ما بعده و ذلك أنّه لا يجوز أن تقول [في قولهم: كلمته فاه إلى في] كلمته فاه حتّى تقول إلى في لأنك تريد مشافهة"... (11).

أمّا الذي يجب أن يُحتاط منه في ما تقدّم فهو التداخل المحتمل بين أصناف المتلازمات التي تشتهى باللسنيات لبعض الخصائص المشتركة. فالتركيب السياقية عند محمود فهمي حجازي و غيره (:الوطن العربي) (12) مثلاً و المركبات المزجيّة (خمس عشرة) و الأعلام المركبة (: تأبط شرّاً) وما إليها تتفق مع اللسنيات في خصائص عدّة لاسيما التركيب و التواتر. و لكنّها تختلف عنها في الدلالة لأنّ معنى السنية عادة ما يكون لاشفّافاً في حين يستفاد معنى باقي المتلازمات من ظاهر اللفظ لأنّه شفّاف. اللهمّ إلّا إذا كان المثال من قبيل

المثل (: سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ، يضرب في طلب الحاجة يُوَدِّي صاحبها إلى التلف (13)) فهو إضافة إلى التواتر و التركيب، يختلف عن اللسنية من جهات أخرى إذ يستعمل في الكلام تضمينا و يفهم بقصة تشرحه و تفكّ رموزه(13) و قد حظي في التراث بمنزلة خاصة تدلّ عليها الكثير من معاجم الأمثال.

و خلاصة القول إنّ العمل القاموسي يتوقّف على معرفة لغوية ضرورية في صناعة المعاجم بما في ذلك معاجم اللسنيات و قد اتّضح لنا كيف أنّ اللسنية باعتبارها عنصرا معجميا له خصوصياته، تنبؤاً في اللغة مكانة شريفة. فما الذي جعلها لا تحظى بنفس تلك المنزلة في المعاجم العربية؟ هذا السؤال و غيره نحاول استقراء ملامحه في الفقرات اللاحقة.

3. اللسنية في المعاجم العربية

إذا سلّمنا بأنّ اللسنية تعدّ ضربا من المتلازمات اللفظية لخصائص كثيرة أشرنا إليها سابقا ولاسيما التواتر و التكلّس و التركيب، فإنّ تناول حضورها في القواميس قد حظي باهتمام الكثير من الباحثين و الدارسين في مقالات عدّة (14) و ندوات مختلفة آخرها تلك التي دارت وقائعها في الدار البيضاء بكلية الآداب، جامعة عين الشقّ، سنة 2005 حول موضوع "المتلازمات في المعاجم العربية". لقد تطرّق المشاركون في هذه الندوة إلى المحاور التالية: مفهوم المتلازمات و خصوصيات المعجمية/ إشكالية تعريف المتلازمات في المعجم/ طبيعة الشاهد في المتلازمات/ المتلازمات في المعاجم العربية الحديثة/ إشكالية ترتيب المتلازمات في المعجم العربي الحديث/ المتلازمات في المعاجم الثنائية اللغة (15). و كان اهتمامهم فيها عدا محاولات التنظير للمتلازمات منصرفا إلى بحث الظاهرة في المعاجم اللغوية العامة الأحادية و الثنائية. فكانت أبرز المعاجم التي شكّلت مادّة العمل من القديم: أساس البلاغة للزمخشري واللسان لابن منظور على سبيل الذكر و من الحديث: المنجد (1969) و المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (1985، ط3) و المعجم العربي الأساسي للمنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم (1988)... و هي معاجم أحادية تضاف إليها تلك المعاجم الثنائية التي نخصّ منها: القاموس الألماني العربي لجوتس شراجلة (1977) و المغني الوسيط لحسن سعيد الكرمي (1999)...

و ما يمكن الخروج به من مجموع المداخلات عدا ما يستفاد من تحديد المصطلح و تدقيق جوانبه المختلفة و علاقته بالدلالة و التركيب، هو التأكيد على ما تطرحه المتلازمة من إشكالات في مجالات اللسانيات التطبيقية و القاموسية على حدّ السواء. فمما يذكر من ذلك في ألصق محورين بهذا البحث محوري المتلازمات في المعاجم العربية الحديثة و إشكالية ترتيب المتلازمات في المعجم العربي الحديث، هو النظر في المتلازمة جمعا و وضعاً، لكي تفضي الملاحظات إلى شبه إجماع على أنّ هذه العناصر و إن كانت من معجم اللغة، لم تتوارد في القواميس العربية سوى لتوظيفها ضمن شواهد اللغة التي يضبط بها حسن الاستعمال و تدقّق بها دلالة الكلمة (16). ولذلك لم تشرّح لحدّ ذاتها إلّا عرضاً (17). و لم ترتّب في التعريفات بطرق ممنهجة (18). و من ثمة يصل المؤتمرون إلى نتيجة واحدة هي أنّنا في حاجة اليوم إلى معجم متخصص يسعى إلى استقصاء كلّ أنواع المتلازمات (19). و في ذلك ما لا يخفى علينا من إشارات إلى الحظّ المنكود لهذه المتلازمات التي منها اللسنية.

بيد أنّ ما أبداه المتدخلون من ملاحظات و خرجوا به من نتائج و توصيات ختامية لم يكن في نظرنا كافيا لكي يغنينا عن التطرّق إلى جوانب كثيرة من هذا الموضوع. فبالإضافة إلى أنّ جلّ المداخلات اهتمّت بالمتلازمات فإنّها لم تتحصّص لدراسة اللسنية في حدّ ذاتها رغم ما بينهما من فويرقات جديرة بالاعتناء. و إنّ الانطباع الذي نخرج به هو أنّ المعاجم التي تناولها الباحثون لم تكن في نظرنا جامعة مانعة لكلّ ما نجد الآن في العربية إذ أنّنا لم نلاحظ و لو دراسة واحدة تطرّقت إلى معجم واحد لبعض أنواع المتلازمات و الحال أنّ كتب الأمثال في القديم تضمّنت نسبة لا يستهان بها من هذه العبارات المحمولة على المثل، إضافة إلى أنّنا شاهدنا مؤخرا ميلاد بعض المعاجم الخاصة بالعبارات الاصطلاحية و هي لعمرى معاجم تبقى في حاجة إلى تقديم وتقييم خاصّة و أنّها ما تزال في بداية الطريق.

3. 1. اللسنية في كتب الأمثال

إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم اللسنيات في كتب الأمثال و قد بلغت على سبيل الذكر في كتابي "فصل المقال" لأبي عبيد (280 لسنية من أصل 850 مثل و عبارة) و "مجمع الأمثال" للميداني (1920 من أصل 6000) (20)، ما يربو عن ثلث المواد المتواردة بمداخل هذين المعجمين، فإنّنا نرى إلى أيّ مدى كان الاهتمام كبيرا بهذه العناصر اللغوية. و رغم ذلك يمكن أن نجزم بأنّ الأشكال التعبيرية في هذه الكتب كانت متداخلة مع الأمثال لأنّ القدامى نظروا في تعريف المثل إلى مقاييس محدودة كثيرا ما لا تتجاوز التواتر و التكلّس فأضحت اللسنية منضوية فيه شأنها شأن العديد من العبارات الأخرى كالحكمة وما إليها: البطنة تأفن الفطنة، من أجدب انتجع... وبصرف النظر عمّا يثيره ذلك من غبن فإنّ صورة التعامل مع اللسنيات تكتمل بالنظر في جمعها ووضعها في مثل هذه المعاجم. و لبلوغ هذه الغاية يمكن أن نكتفي بعيّنات ممثلة أخذت من "مجمع الأمثال" لأنّه أشمل كتاب قديم في هذا الاختصاص.

جمع الميداني مادة كتابه من العديد من المصادر مثل كتاب أبي عبيدة و أبي عبيد و الأصمعي والمفضل وغيرهم (21) ثمّ رتبها في أبواب على نظام حروف المعجم في أوائلها دون اعتبار حرفي التعريف وألف الوصل والقطع و الأمر و الاستفهام و المخبر عن نفسه و ما لا يكون من أصل الكلمة إلّا أن يكون قبل هذه الحروف ما يلزم المثل نحو قولهم "كالمستغيث من الرمضاء بالنار" فهو يرتّب في باب الكاف المتصدّرة (22).

و بصرف النظر عن كثرة المصادر التي فاقت الخمسين (23) و وضوح المنهج و تقسيم تلك الأبواب داخليا إلى ثلاثة أقسام خاصّة بالأمثال و ما ورد منها في شكل مفاضلة و ما كان منها من كلام المولّدين فإنّ ما يلاحظ في هذا الكتاب هو أنّه لم يكن جامعا لكلّ ما نجد عند العرب من لسنيات و أمثال:

* - إنباضٌ بغيرِ توتيرٍ: (لمن ينتحل ما ليس عنده)، لا نجد أثرا للمثل في مجمع الأمثال و الحال أنّه شديد التراتر، فقد ورد في اللسان (24) و كانت طاقته الإنتاجية متميّزة بما أنّ الكثير من العبارات تولّدت منه: أداته إنباض من غير توتير + لا يعجبك الإنباض قبل التوتير: (في استعجال الأمر قبل بلوغ إناه) (24)...

- حنّفها تحمّل ضأنٌ بأظلافها (: لمن يوقع نفسه في هلكة)، المثل يوجد في مجمع الأمثال بهذه الصيغة (25) و لكنّ الميداني لم يردفه بالكثير من اللسنيات المتولّدة عنه رغم تواترها الشديد: لقي فلان يوم العنز + كُفي

يوم العنز + يوم كيوم العنز + كالعنز تبحث عن مدية+ رمى به يوم العنز وكلّ التواردات كانت في الدلالة على ما يلقي المرء من هلاك أو على الرجل يجني على نفسه جناية فيها هلاكه (26)...

و الواضح أنّ مسألة الجمع قامت في هذا المعجم على أساس صفويّ رغم غزارة مادّته. فالمؤلف اعتمد مبدأ الاختيار (27) من المصادر أو من كلام المولّدين و أسقط بذلك العبارات التي قد يكون استغنى عنها بما أورده في الكتاب، مع أنّ تواردات (Les occurrences) تلك العبارات لا تقلّ قيمة في وصف الاستعمال و اللغة عن تلك المذكورة في الكتاب. يضاف إلى ذلك شيء من اللبس في تحديد أصول العبارات و مكوناتها. فقد ذكر الميداني أنّه لا يعتدّ في وضعه المثل ببعض الحروف السوابق و قد كان محقّقاً في هذا لأنّ حرف الجرّ الكاف في مثل قول العرب السابق: كالمستغيث من الرمضاء بالنار، التحم ببقية المكونات المتكسّسة فامتنع من العزل. إلّا أنّ المتأمل في مادّة الكتاب يرى أنّ هذه الظاهرة لم تحترم بدقّة مع كثير من الأمثال والعبارات. فاللسنيّة: (فلان) يَحْرِقُ عَلَيْكَ الْأَرَمَ (: يتغيّظ و يغضب) (27) تواردت في المجمع بصيغة أخرى: "إنّه ليحرق عليّ الأرم" مشفوعة بتوارد آخر رواه المؤلّف عن الأصمعي هو: يعضّ عليّ الأرم (28) ولا نجد فيه إثباتاً للناسخ الحرفي و إسمه. و مع ذلك لم يأخذ الميداني بعين الاعتبار إمكانية الاستغناء عن تلك المكونات القابلة للعزل و لا التواردات المحتملة لنفس اللسنيّة: + يعلك عليه الأرم (27)... فجاءت العبارة في باب الهمزة شأنها في ذلك شأن عبارات أخرى منها: أنا ابنُ بَجْدَنَها (: العالم بها، ج1 ص 52) و إنّه لَوَاقِعُ الطَّيْرِ (: لمن يوصف بالحلم و الوقار، ج1 ص 60) وإنّما هو كَبَرَقِ الخُلْبِ (: لمن يعدّ ثمّ يخلف و لا ينجز، ج1 ص 60)...

و نتيجة لذلك كانت العبارات في هذا المعجم متداخلة محتجبة في بعض الأحيان عسيرة المطلب خاصّة و أنّ ترتيب المداخل داخل الأبواب كثيراً ما يحجب ما فيها من أمثال ولسنيّات بسبب الأخطاء و الاضطراب. فمما ورد خطأ في باب الهمزة و ليس من بابها الأمثلة السابقة التي كان من الواجب أن توضع في أبواب أخرى كالباء بالنسبة إلى برق خلّب و الحاء بالنسبة إلى يحرق الأرم... و لنا أن نجد العبارة الواحدة بعد ذلك في أكثر من باب لأنّ خاصيّة تركيبها يشفع لها في الأصل بالتوارد في أكثر من مدخل، كأن ترد عبارة برق خلّب مثلاً في بابي الباء و الحاء. وممّا جعل الكتاب عسير المطلب كذلك أنّ الميداني لم يحترم في وضعه المداخل ترتيب حروف المعجم داخل مكونات العبارات كما اشترط على نفسه في المقدّمة. فقد وردت عبارة بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا (: للمتحابّين الشفيقين) في باب الباء (ج1 ص 134) قبل اللسنيّة: بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرَائِرِ (: للعداوة والحسد) و الأمر عاديّ لأنّ الهاء التي في كلمة بينهم هي في الترتيب بعد العين التي هي في كلمة العصا. كما وردت نفس العبارة بعد اللسنيّة: بِهِ لَا بَظْبِي أَغْفَرَ (: عند الشماتة، ج1 ص 131) لأنّ رتبة الياء التي في "بين" بعد الهاء التي هي في المكوّن: به. إلّا أنّ ما لا يُعَدّ مقبولا هو أن نجد نفس العبارة في نفس الباب قبل اللسنيّة: بِهِ دَاءُ ظَبِّي (: لا داء له، ج1 ص 135) و كذلك: بَلَّغَ فِي الْعِلْمِ أَطْوَرِيَهُ (: تضلّع فيه و بلغ أقصى حدوده، ج1 ص 135) و الحال أنّ الهاء تتقدّم في ترتيب الحروف على الياء و تتأخّر عن اللام...

و لا نقف المسألة عند هذا الحدّ لأنّ حال العبارات في تعريفات هذا المعجم كثيراً ما لا تساعد في الاستفادة منها. فقد أشرنا في الفقرات السابقة إلى أنّ صاحب المجمع لم يعط أهمية لتواردات العبارات إلّا نادراً كما في مثل قولهم: إنّه ليحرق عليّ الأرم الذي ضمّن تعريفه: هو يعضّ عليّ الأرم... و لا للطاقة الانتاجيّة للأمثال و

قد تولدت منها في اللغة الكثير من اللسنيّات: *حَنَفُهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا، تولدت من هذا المثل العبارات التالية:لقي فلان يوم العنز +كُفِّي يوم العنز... و رغم أنّ الميداني كان حريصا في تعريفه الأمثال و العبارات على شرح المعنى بكلّ دقّة و إن لزم الأمر بتذليل الصعوبات اللغويّة لبعض مكوّناتها (الأرم: الأسنان، في شرح يحرق الأرم) و الاستطراد إلى ما يصاحب الكثير منها من قصص تشرح ظروف القول وما إليها (29)، فإنّه حسب اعتقادنا لم يكن منتظما في تقديم مادّة تلك التعريفات. فالعبارة أبى قائلُها إلّا تمّا (: في تتابع الناس على أمر مختلف فيه)، كانت مذبذبة بملاحظات عن الاستعمال: " يروى تمّا بالرفع والنصب و الخفض و كسر التاء أفصح"(30) ثمّ المعنى الاصطلاحيّ فالمعنى الخطيّ المستفاد من ظاهر اللفظ: " و المعنى: مضى على قوله و لم يرجع عنه"(30). في حين اقتصر في تعريف العبارة: إنّهُ لَصِلُّ أَصْلَالٍ على شرح مكوّناتها الأساسي: "الصلّ حيّة تقتل لساعتها" و المعنى الاصطلاحيّ مردّف بشاهد شعريّ ضُبط به الاستعمال (31). بينما كانت اللسنيّة أَكَلٌ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَ شَرِبَ (: لمن طال عمره) معرّفة بمعنى اصطلاحيّ لم يقطع مع المعنى الخطيّ: "يريدون أكل و شرب دهرًا طويلا " الذي دَعَمَهُ شاهد شعريّ يتضمّن تواردا آخر للعبارة: شرب الدهر عليهم و أكل" (32). و الغريب في هذا الشرح أنّه لا يذكر من المعنى إلّا ما كان متداولًا في كتب اللغة(33) فلا يشير إلى "تقادم العهد" الذي تواتر عند العرب في مثل قولهم: ثياب أكل عليه الدهر وشرب...

و مجمل القول إنّ حظّ اللسنيّات في كتب الأمثال لم يكن جيّدًا لأنّ الموادّ المقدّمة في تعريفات واحد منها هو مجمع الأمثال، لا تكفي في تقديم صورة حسنة لشرح اللسنيّة في المعاجم و قد كانت محاور الشروح محدودة جدًا (34). كما أنّها لا تساعد المتعلّمين في الاستفادة من هذه العناصر المعجميّة و لا الباحثين في وصف النظام التعبيريّ للغة بلسنيّاته و أمثاله و عباراته المختلفة.

3. 2. اللسنيّة في معاجم التعابير الاصطلاحية

سبق أن أشرنا في أوّل البحث إلى أنّ اللسنيّة هي التعبير الاصطلاحيّ. و ذكرنا كذلك أنّ المعاجم العربيّة التي اهتمّت بالعبارات الاصطلاحية بدأت تظهر في العصر الحديث رغم أنّها قليلة العدد. و لكي نأخذ فكرة عن حضور اللسنيّات في هذه المعاجم و نصف الظاهرة، يمكن أن نكتفي ببعض الملاحظات التي اعتمدنا فيها عينات ممثّلة أخذت من "المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية" لمحمود إسماعيل صيني و مختار الطاهر حسين و سيّد عوض الكريم الدوش. فهذا الكتاب مؤلّف جماعيّ وهو حسب علمنا، آخر معجم يصدر في العالم العربيّ سنة 1996 ببירות.

جمع المؤلفون مادّة لا يستهان بها من التعابير الاصطلاحية المتداولة القديمة و الحديثة والمقتضية من اللغات الأجنبية. فبلغت ما يربو عن ألفي تعبير (35) تمّ أخذها من مصادر متنوّعة هي "المعاجم العربيّة القديمة و الحديثة و كتب اللغة و الأدب و التاريخ و الأمثال و غيرها في عصور العربيّة المختلفة، بالإضافة إلى الصحف و المجلّات المتنوّعة و من الإذاعة المسموعة و المرئية"(35)، لأنّ أغراضهم متعدّدة أبرزها مساعدة القارئ العربيّ في فهم العبارات الاصطلاحية و إثراء مجالات الدراسات اللغويّة و الإسهام في تطوير المعجم العربيّ الحديث و معاونة العاملين في مجالات الترجمة (35). واعتمد أصحاب المعجم مقاييس موضوعيّة في ضبط العبارة و جمع المادّة و تدوينها، منها التداول بحيث لا يعتدّ بما كان مهجورا و منها الخلفيّة

النظرية الدقيقة في تعريف التعبير الاصطلاحي والتأكيد على سماته التي نذكر منها: التركيب و الدلالة الجديدة بالاصطلاح وخصائص الدلالة التي تجعل العبارة متفقة مع الكلمة في ظواهر الترادف و الاشتراك و قبول التصنيف (35). ثم وضعوا المعجم بالاعتماد على منهجية أخذت بعين الاعتبار ترتيب العبارات ألفبائياً حسب الكلمة الأولى في كل عبارة ينقل نصّها مشفوعاً بتعريف فيه إشارات لشرح المفردات غير المألوفة و المعنى الاصطلاحي و ذكر بعض التواردات (35)...

و المتأمل في مثل هذه المنطلقات النظرية للعمل القاموسي يرى أنها على قدر كبير من الدراية والمنهجية. بيد أن النظر فيما تضمنه المعجم من عبارات يوقفنا على بعض الملاحظات الأساسية في مستويي الجمع و الوضع. فالمداخل التي توسّع بها الكتاب أغلبها من اللسنيات: أَدَارَ لَهُ ظَهْرُهُ (تركه/ ص 7) + أَرَقَ دَمُهُ (: قتله/ ص 7) + أَسَالَ لُعَابُهُ (: أغراه/ ص 9)... لكنّ منها ما نخاله يلتبس ببعض الأصناف من المتلازمات و المجاز و لا يستجيب بوضوح لخصائص اللسنية التي ذكرت في المقدمة. فقول العرب: أَخَذَ فِي، بمعنى بدأ و شرع (ص 6) ← أخذ الأستاذ في إلقاء محاضراته، هو استعمال عاديّ لفعل الشروع (أخذ). و لا يمكن أن يكون اقتضاء الفعل حرف الجرّ بسبب النقص التركيبيّ و الدلاليّ، كافياً لكي نعدّ التعبير لسنية يجب في الأصل أن تختزن صورة لأنها تقوم على المجاز و إلاّ فإننا نضطرّ إلى اعتبار كلّ المركّبات التي تتجه مكوّناتها إلى شيء من التلازم من قبيل اللسنيات. و يقرب من هذا قولهم: أتى على (ص 2) لما في ذلك من احتمال أن يكون التركيب عادياً شفافاً (أتى عليه: قد يكون المقصود بالضمير مركّباً) و لما في الاستغناء عن المكوّن المجرور بحرف الجرّ من غموض و هو مكوّن أساسيّ يوجّه الاستعمال للتعبير عن معانٍ خاصّة كالهلاك أو الفناء أو ما إلى ذلك: أتى على الأخضر و اليابس (: لم يبق أيّ شيء/ ص 2) + أتى عليه الدهر (: أهلكه/ ص 2) + أتى على آخره (: أتمّه/ ص 2)... و يجب أن نعود هنا إلى مقياس الشفافية في رسم الحدود الفاصلة بين اللسنيات و التعابير الحرة العادية و إن تلازمت بعض مكوّناتها، لأنّه ليس من المعقول أن تحشى معاجم اللسنيات بمثل قولهم: أَخَذَ عَنْهُ (: نقل/ ص 6) + أَشْرَفَ عَلَى (: قارب و أوشك/ ص 10) + دَعَا لَهُ (: طلب له الخير/ ص 51) + دَعَا عَلَيْهِ (: طلب له الشرّ/ ص 51) + إِلَيْكَ عَنِّي (: ابتعد عنيّ/ ص 17) وكذلك: أَحْرَقَ سَفْنَهُ/ مَرَاكِبَهُ في مثل هذه الجملة: أحرق سليمان سفنه قبل أن يهاجر... وإن كان المراد بها: قطع الصلة بالماضي كما يستفاد من المثال: لم يكن أمامه بعد فشله في التجارة إلاّ أن يحرق سفنه... (ص 3)، والاستعمال الأخير يفتقر إلى شرط التواتر إلاّ أن يكون متداولاً في بعض المناطق الخاصة التي لا نعلمها. و يضاف إلى هذا التباس بعض العبارات بضروب من المجاز الشائع و الكنايات و المتلازمات و نحوها: أمّ الرأس (: الدماغ/ ص 17) + أطلق النار (: رمى بالرصاص/ ص 11) + بثّ العيون (: تجسّس/ ص 23) + أبو الضيف (: كريم/ ص 2) + أخو الفراش (: مريض/ ص 7) + الأسود و الأحمر (: جميع الناس/ ص 10) ... و خروج البعض منها عن حدود اللغة العربية رغم إمكانية الدفاع أحياناً عن المعرّب و الدخيل. فقد نقبل العبارة: أَخِرُ صِيْحَةٍ (: حديث جدّ/ ص 1) رغم أنها ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية: Dernier cri ولكننا لا نرى حاجة إلى مثل هذه العبارة: أَعْطَاهُ دُشًّا (: الدشّ أداة ذات ثقب ينصبّ منها الماء، ص 13) لكي نتجنّب التداخل اللغويّ الذي يفسد الألسن و لا ننحدر باللغة المدوّنة في القواميس إلى سجلّ العامية الذي نحن في غنى عنه.

و محصل القول إنّ مادّة الكتاب في حاجة إلى إعادة النظر و التلخيص خاصّة و نحن نرى في مستوى الوضع بعض المشاكل في تكرار مجموعة من العبارات في المداخل عن قصد أو عن طريق الخطأ رغم الإحالات المذكورة أحياناً:

* - اسْتَرَدَّ أَنْفَاسَهُ: استراح، هدأ و اطمأنّ (انظر استعاد أنفاسه)، الصفحة 9 الواد الأول.

- اسْتَعَادَ أَنْفَاسَهُ: استراح، هدأ و اطمأنّ (انظر استردّ أنفاسه)، الصفحة 9 الواد الثاني.

* - أَرْخَى الْحَبْلَ: أصبح مرناً، أرخى الأب المتشدّد الحبل لمّا كبر الأبناء (انظر: أرخى له العنان والحبل)، الصفحة 8 الواد الأول.

- أَرْخَى لَهُ الْعِنَانَ: خلاه و شأنه، أرخى الأب العنان لأطفاله يلبون و يمرحون أثناء الرحلة (بدون إحالة)، الصفحة 8 الواد الثاني.

* - أَحْرَقَ سَفْنَهُ/ مَرَكَبَهُ: قطع خطّ الرجعة على نفسه، قطع صلته بالماضي (انظر حرق مراكبه)، الصفحة 3.

- حَرَقَ مَرَكَبَهُ/ سَفْنَهُ: قطع على نفسه سبيل الرجوع، قطع صلته بالماضي (انظر أحرق مراكبه/ سفنه)، الصفحة 41. و الغريب في هذا المثال و غيره أنّ المؤلّفين أخذوا بعين الاعتبار ترادف المكوّنات في ضبط تواريدات العبارة في حين أنّ همزة الزيادة التي لم تؤثر في المعنى في هذه الحالة أضافت مدخلا إلى المعجم. و يقرب من هذا تخصيص مدخلين منفصلين لتواردتين من عبارة واحدة أو عبارتين مترادفتي المكوّنات:

* اسْتَأْصَلَ خَضْرَاءَهُمْ/ اسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُ (ص 8) + إِطْلَقَ النَّارَ/ أَطْلَقَ النَّارَ (ص 11) + أَطْلَقَ الْعِنَانَ لِسَاقِيهِ/ أَطْلَقَ سَاقِيَهُ لِلرَّيْحِ (ص 11) + أَفْرَخَ اللهُ رَوْعَهُ (و مِنْ رَوْعِهِ)/ أَفْرَخَ رَوْعَهُ (ص 13)...

و ممّا يمكن أن يضاف إلى هذه الملاحظات الخاصة بوضع المداخل أنّ ترتيبها رغم الحرص الشديد على احترام أسبقية الحروف داخل مكوّنات العبارات يشكو أحياناً من بعض الوهن. فقد كان هذا الترتيب جيّداً بالنسبة إلى الكثير من اللسنيّات كما يلاحظ من المثال التالي: أَطْلَقَ لَهُ الْعِنَانَ: (تركه يفعل ما يشاء) (ص 12) قبل عبارة: أَطْلَقَ نَفْسَهُ عَلَى سَجِيَّتِهَا: (تحرّر من كلّ قيد) (ص 12) و بعد عبارة أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي فُلَانٍ: (عابه، ذكره بسوء) (ص 12). ولكنّه غير مرضي بالنسبة إلى وَضَعَ عبارات أخرى منها: أَعَادَ تَرْتِيبَ الْأَوْرَاقِ (: أعاد النظر في خططه) (ص 12) بعد أَعَادَ الْكُرَّةَ إِلَى الْمَلْعَبِ (: أرجع القضية إلى مسؤوليته) إذ كان من المفروض أن تسبق التاء الكاف في الرتبة و حتّى اللام إن اعتبرنا لام التعريف من مكوّنات العبارة وكانت الهمزة للوصل، و كذا الشأن بالنسبة إلى قولهم: اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ (ص 9) الذي توسّط على التوالي: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (: تولى الملك) (ص 9) و اسْتَوَى عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ (: تولى الملك) (ص 9) ... هذا دون النظر إلى ما لا نعتقد أنّه مقبول في اللغة بتقديم حركة الحرف الطويلة على القصيرة و ما نتج عنه من ترتيب واهٍ لمجموعات من العبارات قبل أخرى:

* أَتَى أَكْلُهُ + أَحْرُ صَيْحَةٍ + آزَرَهُ عَلَى + ... قبل العبارات التالية: أَبَادَ اللهُ خَضْرَاءَهُمْ + ابْتَسَمَ فِي وَجْهِهِ + أَبْقَى عَلَيْهِ/ عَلَى حَيَاتِهِ + أَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا... (ص 1).

و يضاف كذلك إلى ما سبق أنّ تعريفات هذا المعجم تشكو الكثير من الخلل و النقص. فقد حرص المؤلّفون على تذييل المداخل بشروح تتضمّن المعنى الاصطلاحي للعبارة و سياقاتها المختلفة و بعض توارداتها

دون السهو أحيانا داخل التعريف الواحد عن الإحالة إلى ما يناسب العبارة من المداخل الأخرى أو شرح المفردات الصعبة أو تقديم بعض الشواهد الموضحة للاستعمال. غير أنهم إذا استثنينا الأمثلة الواردة بشكل دائم في كل تعريف، لم يلتزموا بهذه الطريقة دائما. فمن التعريفات ما لا نجد فيها شرح المعنى الاصطلاحي الذي يعد أهم دافع لوضع هذا المعجم:

- * - اتَّسَعَ نِطَاقُهُ: النطاق: حزام يشدّ به الوسط (ص 2).
- أَعْطَاهُ دُشًّا: الدش: أداة ذات ثقب ينصبّ منها الماء (ص 13).
- شَفَى غَلِيلَهُ/ نَفْسَهُ: الغليل: شدة العطش و حرارته (ص 70).
- طَوَّعُ الْبَنَانِ (فلان): البنان: أطراف الأصابع (ص 81)، و العبارات كما نلاحظ غامضة لأنّ المعنى الاصطلاحيّ المعولّ عليه لم يشرح.

و منها ما اكتفى فيه المؤلفون بتعريف هو أقرب ما يكون إلى شرح المعنى الخطي الظاهر للعبارة خاصة إذا لم تكن من اللسنيات:

- * - أُمُّ الرَّأْسِ: الدماغ (ص 17) + أَطْلَقَ النَّارَ: رمى بالرصاص (ص 11) أو كانت على درجة ما من الشفافية:

- * - أَ حَشَفًا وَ سُوءَ كَيْلَةٍ: الحشف: التمر الرديء. أ تجمع بين فساد السلعة و النقص في الكيل؟(ص 3).
 - بَيْنَ مَدٍّ وَ جَزَرٍ: المدّ امتداد ماء البحر و الجزر انحسار مياهه: بين تقدّم و تراجع (ص 24).
 - تَحْتَ الْمِجْهَرِ: في الضوء، تحت الفحص و الدراسة (ص 31).
- و شرح المعنى الخطي مفيد جدًا و لكنّ المؤلفين لا يعيرونه في الكثير من الأحيان اهتماما. فقد نجد الأمر لا يقتصر سوى على تقديم المعنى الاصطلاحيّ دون غيره إذا استثنينا ما يوجد في التعريف من أمثلة للسياقات التي تدخل فيها العبارات:

- * - أَتَى عَلَى آخِرِهِ: أتمّه (ص 2).
- اخْضَرَّتْ نِعَالُ (القوم): أخصبوا (ص 7).
- أُسْقِطَ فِي يَدِهِ: ندم أو تحير (ص 10).
- أَلْقَمَهُ حَجَرًا: أسكته أو غلبه عند المخاصمة (ص 15).

و قد يكون من المفيد في هذا السياق أن نذكر بالعديد من مظاهر الاضطراب الأخرى في تعريف اللسنيات بهذا المعجم و لكنّ في ما ذكرنا الكفاية خاصّة و أننا كنّا قد قدّمنا في الفقرات السابقة كيف أنّ الكثير من التواردات سيقّت على أنّها عبارات منفصلة زادت الطين بلّة بإضافة مداخل غير ضرورية أثقلت كاهل الكتاب حتّى ناهز الألفي عبارة: إِطْلَاقُ النَّارِ / أَطْلَقَ النَّارَ

- (ص 11) + أَفْرَحَ اللهُ رَوْعَهُ (و مِنْ رَوْعِهِ)/ أَفْرَحَ رَوْعَهُ (ص 13) و نتج عن ذلك أن كثر التكرار الذي لا طائل من ورائه:

- * - اسْتَرَدَّ أَنْفَاسَهُ: استراح، هدأ و اطمأنّ./ اسْتَعَادَ أَنْفَاسَهُ: استراح، هدأ و اطمأنّ.(انظر: استردّ أنفاسه) (ص 9).

- اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ: تَوَلَّى الْمَلِكُ./ اسْتَوَى عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ: تَوَلَّى الْمَلِكُ. (انظر استوى على العرش) (ص9).

- اسْتَأْصَلَ خَضِرَاءَهُمْ: اسْتَأْصَلَ: قطعه من أصله. الخضراء: الخصب. أبادهم و أفناهم./ اسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُ: اسْتَأْصَلَ: قطع من أصله. الشأفة: قرحة القدم. قضى عليه قضاء تاماً (ص9). ويمكن أن يحتج المرء في هذا المثال لأن الشأفة ليست الخضراء. و لكن المؤلفين في مواطن أخرى اعتبروا المسألة من قبيل التوارد و أثبتوا العبارات في مدخل واحد: اشْتَدَّ عُودُهُ/ سَاعِدُهُ/ ظَهْرُهُ: قوي، صار عزيزاً و منيعاً. (ص10) و لا يخفى علينا أن العود ليس الساعد أو الظهر. و التكرار إذا كان من هذا القبيل غير وظيفي يضخم حجم الكتاب ويدفع إلى الملل فلا يساعد الطلاب والمتعلمين و القراء العرب في فهم العبارات الاصطلاحية و إثراء مجالات الدراسات اللغوية والإسهام في تطوير المعجم العربي الحديث كما نصّ على ذلك الجماعة في مقدّمة كتابهم.

4. الخاتمة

تناولنا في هذا البحث منزلة اللسنية في المعاجم العربية في نقطتين أساسيتين متكاملتين: الأولى منهما نظرية سعيها فيها إلى إبراز قيمة اللسنية في اللغة و الثانية تطبيقية نظرنا من خلالها في عينات أخذت من المعاجم اللغوية في محاولة للإجابة عما تنثيره اللسنيات في العمل القاموسي من مشاكل. و أثبتنا من خلال ذلك أن اللسنية رغم كونها من العناصر المعجمية المهمة في نظام اللغة بما فيها من خصوصيات كالتواتر و التركيب و التكلّس...، لم تحظ في القاموسية بما حظيت به الكلمة أو المثل لأنها حملت على الأمثال و لأن العرب انصرفوا في معاجمهم إلى الكلمة و لم يعتنوا بالعنصر المعجمي على أساس تركّبه. فلم تتوارد اللسنيات قديماً في القواميس عدا كتب الأمثال، سوى لتوظيفها ضمن شواهد اللغة. بل و حتّى كتب الأمثال التي تضمّنت مداخلها نسبة مهمة من هذه العناصر اللغوية المركّبة لم تسلم من عيوب التداخل و الاضطراب الذي جعل الوصول عسيراً إلى هذا الصنف من العبارات. و لا يختلف الأمر كثيراً في القاموسية العربية الحديثة باعتبار أن المعاجم القليلة التي ظهرت مؤخراً لم تكن حسب ما تبيّن لنا من وصف العينة المختارة، واضحة في وضع

مداخلها دقيقة في شروحاتها جامعة مانعة لما في اللغة من رصيد، بحيث تبقى دائما في حاجة إلى التفكير في وضع معجم للسنيّات حسب ما يقتضيه العمل القاموسيّ من منهج و قواعد علميّة.

الحاشية

(1) مصطلح اللسنيّة مقابل (Expression idiomatique) من وضع الطيّب البكّوش (في الكلمة، ص 124) و هو مصطلح لم يستقرّ إلى الآن في استعمال العرب شأنه شأن مصطلحات أخرى: عبارة اصطلاحية/ مسكوكة/ خاصّة... انظر لمزيد التدقيق: عبد الرزّاق بن عمر، اللسنيّات (التعابير الخاصّة) في العربيّة القديمة، ص 88 و ما بعدها.

(2) نعتبر أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفيّ سنة 175 للهجرة) هو مؤلّف كتاب العين بصرف النظر عمّا وقع من خلاف في ذلك بنسبة هذا الكتاب إليه أو إلى بعض من تلاميذه، يقول في ذلك سمير محمّد عبيد نقد: "و قد اختلف العلماء اختلافا كبيرا في نسبة كتاب العين للخليل فمنهم من يرى أنّه أملاه على الليث بن المظفر و منهم من يقول إنّّه شرع فيه و ربّث أوائله و سمّاه كتاب العين و أكمله تلاميذه من بعده..."، انظر: الاستشهاد بالحديث على اللغة في كتاب العين، الدكتور سمير محمّد عبيد نقد، جامعة البحرين، أعمال ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي الدوليّة، جامعة آل البيت، الأردن، تموز، 2006.

(3) يعدّ "الكتاب" لسبويه (توفيّ سنة 180 أو 188 للهجرة) باكورة الإنتاج اللغويّ عند العرب إذا استثنينا العمل الذي قام به الخليل، و قد وصف فيه العربيّة بنظمها المختلفة و وضع قواعدها. أثر هذا الكتاب في التّأليف اللغويّ فتعدّدت بعده المصنّفات و لاسيّما الشروح.

(4) من أمثلة المعاجم اللغويّة العامّة و هي كثيرة في التراث: "الصاحح" للجوهريّ (القرن الرابع الهجري) و لسان العرب لابن منظور (بداية القرن الثامن الهجري). و من المعاجم المختصّة نذكر مثلاً: كتاب التعريفات للشريف الجرجاني(القرن الخامس الهجري)... ينظر في ذلك مثلاً: حسين نصّار، المعجم العربيّ. نشأته و تطوّره، القاهرة، 1956.

(5) يعدّ هذا المعجم الآليّ للجمال المسكوكة واحدا من سلسلة معاجم آليّة للغة العربيّة هي: المعجم الآلي للمفردات البسيطة ومعجم المفردات البسيطة المعرّبة و المعجم الآلي للمفردات المركّبة و المعجم التركيبي الآلي و المعجم الآلي للجمال المسكوكة. وهذه المعاجم متكاملة متماسكة بحيث أنّ مستعملها لا يستطيع أن يستغلّ الثاني دون اعتماد الأوّل و الثالث دون الثاني وهكذا دواليك لأنّ المعجم التركيبيّ الآلي مثلاً قاعدته المعاجم السابقة، انظر على سبيل الذكر لمزيد التدقيق: محمّد حتّاش، مشروع نظريّة حاسوب-لسانيّة في بناء معاجم آليّة للغة العربيّة، التواصل اللساني، مج II عدد 2، ص 40 و ما بعدها.

(6) انظر في ما يتعلّق بالنظريّة و التطبيق المعجميّ على سبيل المثال: محمّد صلاح الدين الشريف، المعجم بين النظريّة اللغويّة والتطبيق الصناعي، مجلّة المعجميّة العربيّة بتونس، عدد 2، 1986.

(7) القاموس في الأصل هو "القاموس المحيط" للفيروز أبادي ثمّ شاعت الكلمة بمعنى المعجم الكتاب.

(8) محمّد صلاح الدين الشريف، مجلّة المعجميّة، عدد 2، ص 16-17.

(9) لتبيين ملامح هذا المنهج يمكن النظر في حركة جمع اللغة و الوقوف على بعض القضايا و المسائل كالسماع و القياس والتوقيف و الاصطلاح و الفصاحة...انظر في ذلك مثلاً: السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج1.

(10) للتوسع في مفهوم التلازم و المتلازمات في اللغة، انظر مثلاً: عبد الرزاق بن عمر، توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية: لسان العرب لابن منظور نموذجاً، 2. 1. التلازم اللفظي في اللغة، الدراسات المعجمية، المغرب، العدد الخامس، يناير 2006.

(11) سيبويه، الكتاب، ج 1 ص 392.

(12) انظر مصطلح التعابير السياقية مثلاً عند محمود فهمي حجازي في: "الجانب السياقي في المعاجم و الكتب في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، وقائع الندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها. و كذلك عبد الغني أبو العزم: "مفهوم المتلازمات و إشكالية الاستغلال المعجماتي"، مجلة الدراسات المعجمية، عدد 5 ص 44.

(13) الميداني، مجمع الأمثال، ج 1 ص 417، و نصّ تعريف هذا المثل يتضمّن شرحاً فيه ذكر لأخبار مختلفة رُويت عن أبي عبيد و الأصمعي و ابن الأعرابي الذي أرجع القصة إلى رجل حذف نفسه على سرحان بن هزلة الذي كان بطلاً فاتكاً يتقيّه الناس فقتله.

(14) انظر مثلاً: عبد الرزاق بن عمر، "التلازم اللفظي و مداخل المعاجم العربية" و فيه إشارات إلى بعض تلك المقالات مثل مقال محمود فهمي حجازي السالف الذكر، أعمال الندوة الوطنية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس في "التلازم اللفظي و التضام"، تونس في 2-3 ماي 2003.

(15) عبد الغني أبو العزم، كلمة الافتتاح للندوة المذكورة التي نشرت وقائعها بعدد خاص من مجلة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، الرباط، المغرب، يناير 2006.

(16) انظر في ذلك مثلاً: الحبيب النصراني، شواهد المتلازمات اللفظية في "القاموس الألفبائي" و "المعجم العربي الأساسي"، الدراسات المعجمية، عدد5، ص 88 و ما بعدها، و كذلك: عبد الرزاق بن عمر، توارد المتلازمات، نفس المرجع، ص 145.

(17) انظر مثلاً: علي الودرني، منزلة المتلازمات في "المعجم الوسيط"، نفس المرجع، ص 209، و كذلك: توارد المتلازمات، نفس المرجع، ص 162 و ما بعدها.

(18) انظر مثلاً: محمد شندول، منهج الوضع في المتلازمات في "المنجد"، نفس المرجع، ص 177 و مل بعدها، و كذلك: علي الودرني، منزلة المتلازمات، نفس المرجع، ص 204-205.

(19) انظر مثلاً: عبد الغني أبو العزم، مفهوم المتلازمات، نفس المرجع، ص 44.

(20) اللسنيات، ص 59.

(21) مجمع الأمثال، ج 1 ص 29 - 31.

(22) نفسه، ص 32.

(23) نفسه، ص 31.

- (24) لسان العرب، مج 6 ص 568.
- (25) مجمع الأمثال، ج 1 ص 252.
- (26) لسان العرب، مج 4 ص 899، وكذلك الزمخشري، أساس البلاغة، ص 437.
- (27) لسان العرب، مج 1 ص 50 و 613، أساس البلاغة، ص 14 و 123.
- (28) مجمع الأمثال، ج 1 ص 70.
- (29) من المعروف أن يردف المثل بقصة تشرحه: انظر مثلاً القصة المصاحبة للمثل: إن العصا قرعت لذي الحلم (: لمن إذا نبّه انتبه ج 1 ص 70)، و لكن الأمر لا يتسنى مع اللسنات التي لا تتضمن تعريفاتها سوى المعنى الاصطلاحي و بعض الشروح اللغوية.
- (30) مجمع الأمثال، ج 1 ص 73.
- (31) نفسه، ج 1 ص 59.
- (32) نفسه، ج 1 ص 75.
- (33) انظر مثلاً: أساس البلاغة، ص 325 و كذلك لسان العرب، مج 1 ص 78.
- (34) هذه المحاور كثيرة جداً لأنها قد تبلغ أحياناً العشرة، انظر شرح لسان العرب للسنّة: جاؤوا قضّهم بقضيضهم (مج 5 ص 109-110) أي بجمعهم لم يدعوا شيئاً وراءهم و لا أحداً، توارد المتلازمات، 3، 2.2، الدراسات المعجمية، ص 164.
- (35) محمود إسماعيل صيني و جماعته، المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، المقدمة، الصفحات: ز-ك.

المصادر و المراجع

- أبو سعد (أحمد)، معجم التراكيب و العبارات الاصطلاحية القديم منها و المولّد، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
- أبو العزم (عبد الغنيّ)، مفهوم المتلازمات و إشكاليّة الاشتغال المعجماتي، أعمال الندوة الدولية التي نظمتها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية بالاشتراك مع جمعية المعجمية العربية بتونس في "المتلازمات اللفظية في المعاجم العربية"، الدار البيضاء، 24-26 مارس 2005، مجلة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، يناير 2006، ص 33 - 46.
- البكري (أبو عبيد)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق إحسان عباس و عبد المجيد عابدين، دار الأمانة - مؤسسة الرسالة، ط. 3، بيروت، 1983.
- البكوش (الطيّب) و الماجري (صالح)، في الكلمة. في النحو العربي و في اللسانيات الحديثة، سلسلة معالم الحداثة، دار الجنوب للنشر، تونس، 1993.
- ابن عمر (عبد الرزاق)، التلازم اللفظي و مداخل المعاجم العربية، أعمال الندوة الوطنية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس في "التلازم اللفظي و التضام"، تونس، 2-3 ماي 2003.

- ابن عمر (عبد الرزاق)، توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية: لسان العرب لابن منظور نموذجاً، أعمال الندوة الدولية التي نظمتها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية بالاشتراك مع جمعية المعجمية العربية بتونس في "المتلازمات اللفظية في المعاجم العربية"، الدار البيضاء، 24-26 مارس 2005، مجلة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، يناير 2006، ص 143-169.
- ابن عمر (عبد الرزاق)، اللسنيات (التعابير الخاصة) في العربية القديمة، نسخة مرقونة، كلية الآداب، متوبة، تونس، 1999.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد)، لسان العرب المحيط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988.
- حجازي (محمود فهمي)، الجانب السياقي في المعاجم و الكتب في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، الجزء الأول، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة 1980، ص 232-251.
- حناش (محمد)، مشروع نظرية حاسوب-لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، التواصل اللساني، مج II، عدد 2، فاس، المغرب، مارس 1991، ص 28 - 41.
- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1979.
- سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان)، الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1977.
- السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين)، المزهرة في علوم اللغة و أنواعها، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- الشريف (محمد صلاح الدين)، المعجم بين النظرية اللغوية و التطبيق الصناعي، مجلة المعجمية، عدد 2، ص 15 - 30، تونس، 1986.
- شندول (محمد)، منهج الوضع في المتلازمات في المنجد، أعمال الندوة الدولية التي نظمتها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية بالاشتراك مع جمعية المعجمية العربية بتونس في "المتلازمات اللفظية في المعاجم العربية"، الدار البيضاء، 24-26 مارس 2005، مجلة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، يناير 2006، ص 171 - 190.
- صيني (محمود إسماعيل) و حسين (مختار الطاهر) و الدوش (سيد عوض الكريم)، المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.
- عبيد نقد (سمير محمد)، الاستشهاد بالحديث على اللغة في كتاب العين، أعمال ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي الدولية، وحدة الدراسات العمانيّة في جامعة آل البيت، الأردن، 23 - 25 تموز، 2006.
- الفراهيدي (الخليل بن أمد)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد)، مجمع الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

- نصّار (حسين)، المعجم العربي. نشأته و تطوّره، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956.
- النصراوي (الحبيب)، شواهد المتلازمات اللفظية في القاموس الألفبائي و المعجم العربي الأساسي، أعمال الندوة الدولية التي نظّمها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية بالاشتراك مع جمعية المعجمية العربية بتونس في "المتلازمات اللفظية في المعاجم العربية"، الدار البيضاء، 24-26 مارس 2005، مجلّة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، يناير 2006، ص 77 - 107.
- الودرني (علي)، منزلة المتلازمات في المعجم الوسيط، أعمال الندوة الدولية التي نظّمها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية بالاشتراك مع جمعية المعجمية العربية بتونس في "المتلازمات اللفظية في المعاجم العربية"، الدار البيضاء، 24-26 مارس 2005، مجلّة الدراسات المعجمية، العدد الخامس، يناير 2006، ص 191 - 222.

باللغات الأجنبية:

- Gréciano (G.), *Signification et dénotation en Allemand. La sémantique des expressions idiomatiques*, Recherches linguistiques, Univ. de Metz, 1983.
- Gross (G.), *Les expressions figées en français. noms composés et autres locutions*, Ophrys, Paris, 1996.
- Méjri (S.), *Structuration sémantique et variation des séquences figées*, 1ère RLM sur le figement lexical, Tunis, 17 - 19 sept. 1998, PP. 103 - 112.

تشكل البناء المعجمي

عند الخليل دراسة نطقية فيزيائية

د. حسام "محمد عزمي" العفوري
جامعة الأردن

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن تشكل البناء المعجمي عند الخليل، والتغيرات التي تطرأ عليه في المقاطع الصوتية التي تتشكل منها الكلمة، واستكناه أسرار اللغة وتطورها على هذا المستوى؛ دون انقطاع ما بين الماضي والحاضر؛ ومعلوم أن نظرية الخليل في كتابة معجم العين تقوم على مبدأ زيادة ضغط الهواء على